بسم الله الرحمن الرحيم

جهود الأمة في خدمة السيرة النبوية قبل ابن إسحاق (151)

الدكتور محمد المختار ولد باه (جامعة نواكشوط ــ موريطانيا)

تصميم المقال

I. مقدمة: التذكير بجهود إ بن اسحق

II. جهود الأمة في عهد الصحابة

1. عهد الخلفاء

أ. عمل الخليفة أبي بكر: الصاحب الرفيق

ب. عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: التشبت والتقويم

ج. عمل الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان: كتابة المصحف وبدأ كتابة الحديث

د. عمل سيد المجاهدين الخليفة الإمام علي بن أبي طالب، بحر العلوم

2. أم المؤمنين عائشة

3. أنس بن مالك

4. عبد الله بن عباس

5. أبو موسى الأشعري

6. البراء بن عازب

III. جهود الأمة في عهد التابعين

1. أبان بن عثمان بن عفان

2. عروة بن الزبير

3. شرحبيل بن سعد

4. عبد الله بن أبي بكر الأنصاري

5. عاصم بن عمر بن قتادة

6. وهب بن منبه

7. ابن شهاب الزهري

I. مقدمة: التذكير بجهود ابن إسحق

التعريف بجهود الأمة في خدمة السيرة النبوية قبل ابن إسحق حملنا على التذكير بما قام به هذا العالم في تدوين السيرة، في كتابه الذي كان أول مصنف عمد مؤلفه إلى جمع أخبار النبي ﷺ في مبدئها قبل البعثة، وفي مراحل حياته بمكة، وفي مغازيه بعد الهجرة.

لقد استقى ابن إسحق معارفه من كثير من العلماء فاستمع إلى علية التابعين، وتوسع في النقل والجمع والتصنيف. وقد اعتمد منهجا خاصا في كل من الأقسام الثلاثة في كتابه. ففي المبدأ أخذ ما روي عن كعب الأحبار ووهب بن منبه واستعرض تاريخ القبائل العربية قبل الإسلام.

وفي قسم المبعث أخذ عن علماء التابعين الذين عنوا بحياة النبي ﷺ في هذه الفترة أمثال ابن شهاب الزهري، و عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم.

وفي القسم الأخير اقترب من رواة الحديث، وبالخصوص في المغازي، فكان من شيوخه موسى بن عقبة، وأبو إسحق السبيعي وابن شهاب الزهري.

وقد صار مؤلفه من تلك الأمهات التي ترسم حدود العلم الذي تناوله، وتبين منهجه، وتفتح مسالكه للباحثين من بعده.

وإذا كان هذا المصنف لم يصلنا كاملا، فإن الخلاصة التي هذبها منه ابن هشام، ومن جاء بعده ممن شرحه كالإمام السهيلي في روض الأنف، أو من استقى منه كابن سيد الناس في عيون الأثر أعطتنا صورة كاملة عن سيرته.

ونظرا لارتباط عمله بجهود من جاء قبله وبعده فإننا لا نستطيع أن نفرق بين أعمال ابن إسحق وجهود الذين سبقوه. ذلك أنه هو والواقدي هما اللذان اعتنيا بجهود من سبقهم وصنفاها وفقا لتصورهما في تنظيم علوم السيرة، وقد حظيا بعالمين اثنين هذبا أعمالهما، فكان لابن هشام الفضل في حفظ ما ضاع من سيرة ابن اسحق، وتقديمه في صورة جيدة، أتاحت اعتماده من طرف علماء السيرة. كما أسهم الإمام السهيلي في عملية توثيق هذا العمل، وتكميله. كما قام محمد بن سعد كاتب الواقدي في طبقاته بتوسيع مغازي الواقدي وضبط مضامينها، فأصبحت من المراجع الموثوقة.

وقد عاصر ابن إسحاق الإمام مالكا الذي قام بأول عملية تدوين السنة في موطئه الفريد، في المدينة المنورة وعاصر أبا حنيفة في العراق وابن جريج و ابن عيينة في مكة، و كان لهؤلاء دورهم في تدوين الفقه و السنة.

ويجدر بنا أولا أن نبين الفرق بين السيرة والسنة، فكلاهما يتناول أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقاريره، فيجتمعان في كثير من المواضيع، لكنهما قد يختلفان في بعض الأمور.

فالسنة تركز على الأعمال التعبدية والتشريعية، وتستبعد جوانب الحياة الطبيعية، كما قال سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي:

وفعلـــه المـــذكور في الجِبلّيـــه كالأكل والـــشرب فلـــيس ملـــه

وتختص السيرة بالاهتمام بحياة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كلها بصفته بشرا رسولا، واصطلح أصحاب السير على تناول حياته في ثلاثة مراحل:

فالمرحلة الأولى: تركزت بحوث السيرة على بشائر النبوة، والظروف التاريخية التي سبقت المولد النبوي، وبكل ما يتعلق بهذه الفترة من نسب رسول الأمة محمد ﷺ، ومن حياة القبائل التي بعث فيها، وما لهم من عادات وديانات حيث أنهم كانوا في جاهلية وصفها جعفر بن أبي طالب للنجاشي أثناء رده على وفد قريش الذي جاء إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين الأوائل حيث قال: ".. كنا قومًا نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ويأكل القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الجوار، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم".

وتسمى هذه المرحلة عندهم مرحلة المبدإ.

والمرحلة الثانية: أخبار البعثة ومبدء الوحي والدعوة إلى الإسلام والجهاد السلمي ولمعاناة المسلمين قبل الهجرة.

وأما المرحلة الثالثة، ففيها أخبار ما بعد الهجرة، وهي حقبة المغازي لتثبيت أركان الدين، والتشريع لإنشاء دولة الإسلام.

وفي هذه المرحلة الأخيرة، تناقصت الفروق بين السنة والسيرة، ولكن في هذه الورقة سوف نقتصر على الحديث عن السيرة بمعناها الاصطلاحي الذي سار عليه ابن اسحق وابن هشام والواقدي وابن سعد.

وسنتناول في هذه الورقة جهود طبقتين اثنتين هما اللتان قامتا بدور إنشاء علوم السيرة، وهما طبقة الصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا حوادث السيرة وحفظوا وقائعها. والثانية طبقة التابعين الذين نقلوا معارفها من الصحابة، وبدأوا في جمعها وتصنيفها. والمعروف أن كلا من هاتين الطبقتين تضمن جيلين متميزين فيما لهم من شهود ورواية.

II. جهود الأمة في إنشاء علوم السيرة

تتمثل جهود الأمة الأولى في خدمة سيرة النبي ﷺ فيما قام به صحابته رضوان الله عليهم. ذلك بأنهم كانوا شهود حياته، ورفاق دعوته، وجنود جهاده.

فمنهم السابقون الأولون الذين واكبوا قيام البعثة وتطورها، وقاوموا الفتنة التي فرضت عليهم من طرف كفار قريش، فمنهم من هاجر الهجرة الأولى، ومنهم من صبر وصابر في مكة، فحضر بيعات العقبة، ثم التحق بالنبي عليه الصلاة والسلام في دار هجرته، لمتابعة الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، فشهدوا مشاهده في الغزو، واستكمال بناء أركان الإسلام، وبيان شعب الإيمان، ومراتب الإحسان.

نبدأ أولا بالجيل الأول من الصحابة السابقين في الإسلام وهم الذين عرفوا حياة الرسول ﷺ في مكة، وشاركوا في فترة الدعوة وهاجروا معهم وشهدوا مشاهده، وفي طليعة الجيل الأول من هؤلاء الخلفاء الأربعة، ومن عاصرهم من السابقين الأولين، وكان سابق السباق أبو بكر الصديق.

1. الخلفاء الراشدون

هؤلاء هم الطبقة الأولى التي حفظت تفاصيل حياة الرسول ﷺ، وعرفت شمائله، فوصفت خَلقه وخُلقه، وحملت سنته وتأست بسنته.

وبعدما التحق بالرفيق الأعلى، تابع الخلفاء الراشدون طريقه فجمعوا القرآن الكريم، ووعوا أقواله واستظهروا أفعاله، ثم كان الذين جاءوا من بعدهم من علماء التابعين الذين بدأوا تدوين سنته وسيرته. وقد تفاوتت درجات أعمالهم في هذا المجال، فكان منهم المكثر الذي جمع فأوعى، والمقل الذي انتقى ورعى.

وقد كان لكل من الخلفاء الأربعة منهجه الخاص في استمرارية الخلافة النبوية، فمنهم من حرص على أن يتصرف نيابة عن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

أ. فقد اشتهر أن الخليفة أبا بكر كان من أعلم الناس بالأنساب، فقد كان دغفل زمانه كما أن خبرته في هذا الميدان أهلته لمرافقة الرسول ﷺ أثناء المواسم لدعوة القبائل. والدفاع عن الرسول ﷺ فلما سمعت قريش شعر حسان بن ثابت، وقوله:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

ونراه يقاتل الردة وفقا لما رأى أن النبي ﷺ كان فاعلا، ولو منعوا عقالا (أو عناقا) كانوا يؤذونها.

ثم حرص أن لا يقسم ما ترك، وأن يصرف كما كان يصرف في عهد النبي ﷺ، وتردد في جمع القرآن لأنه لم يتم في عهده ﷺ.

عرفوا أن ابن أبي قحافة لم يغب عن مواضيع هذا الشعر ذلك أنه مكن حسان من الرد على قريش دون أن يمس بقرابة النبي عليه الصلاة والسلام.

ب. وسلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منهجا مختلفا اعتمد التقويم والانتقاء، فتحفظ على كثرة رواية الحديث، ورفض مشروع تدوينه خشية أن يدخل في كتاب الله ما ليس منه، فصرف اهتمامه إلى بناء الدولة ونظام الحكم، وإحكام ضوابط السلوك، واتبع ابنه عبد الله طريقته في التوثق من الروايات، لكنه ابتعد عن

مراكز الحكم، وأسس مدرسة الفقه المدني المتخصص في أحكام العبادات، فقلت في مدرسته روايات المغازي والسير.

ج. وفي عهد الخليفة عثمان حفظ النص القرآني في المصاحف المجمع عليها، فتحرر رواد التدوين من الخلط بين القرآن والحديث، فظهرت صحائف الصحابة، وكتابات التابعين، وقبل هذا تعلق السيريون بعثمان رضي الله عنه في دوره غي الهجرة والإنفاق في العسرة والمفاوضات مع قريش.

وقد كان لابنه أبان إسهام في نشأة تدوين السيرة، وسوف نقف معه قليلا.

د. وقد قويت انطلاقة الجمع والكتابة في عهد الإمام علي بن أبي طالب الذي كانت صحيفته في قراب سيفه، كما استقى من معينه ابن عمه ومساعده حبر الأمة عبد الله بن عباس في تفوقه وسعة علمه.

أسلم علي صبيا، وتربى في بيت النبوءة، وعاش حياة المقاومة في مكة، ونام على فراش النبي ﷺ في الليلة التي كان كفار قريش قد تآمروا فيها على قتل الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم ما لبث أن هاجر إلى المدينة، وظل في كنف الرسول ﷺ وبيته في مسجده، وسيفه منصلتا على أعدائه. فكان منه بمنزلة هارون من موسى، وكان من أبرز المبارزين، وعقد له الرسول ﷺ لواء الفتح في خيبر مخبرا أنه يحب الله ورسوله. ثم تولى الخلافة بعدما كان مساعدا أمينا للخلفاء الثلاثة الذي سبقوه، فكان لهم مستشارا حكيما وقاضيا عادلا.

كان الإمام من أبواب مدائن العلم، ومن حملة خزائن الحكمة والمعرفة.

وتروي المصادر أنه كانت له مكتبة خاصة تركها مولاه كريب عند موسى بن عقبة، وكان ابنه علي يتعهدها بالحفظ والمطالعة.

2. عائشة أم المؤمنين

لقد كانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر من أعرف الناس بسيرة النبي ﷺ. لقد مكثت في بيته ثماني سنين، تشهد سلوكه، وخُلقه فأطلقت قولتها المشهورة: إنه كان خلقه القرآن، وتابعت غزواته، وشاركت في بعضها، وامتحنت في عهده، وبرأها الله تعلى من أقوال من تولى كبر الإفك عليها، واشتهرت بقوة حافظتها، فقيل إنها كانت تحفظ للعرب آلاف الأراجيز، وروت عن النبي ﷺ أكثر من خمسة آلاف حديث.

كما أن والدها كان الصاحب الملازم للنبي ﷺ ورفيقه في رحلاته لدعوة القبائل في المواسم، وفي المقام بمكة، وأثناء الهجرة إلى المدينة، ولاشك أن كل هذه الأحداث قد وعتها وحفظتها عائشة من أبيها. وأفادت من صرامة أبيها، ومن صحبته الوثيقة، ففتحت الجانب المعرفي، نتيجة خصالها الذاتية، وثقافتها الواسعة، وعلاقتها الحميمة بالنبي ﷺ، وهذا ما أهلها أن تتزعم مدرسة علمية، تستند إلى أبيها في السلوك، وإلى ثقافتها في التصور المعرفي، وقد كان للسيرة حظها الوافر في هذه المدرسة العلمية.

فلا عجب إذن أن يستقي الرواة من معينها الذي لا ينضب سواء في الأحاديث أو في السيرة. ومن الذين أخذوا من علمها الغزير في السنة، مجموعة من العلماء يمكن أن يطلق عليهم مجموعة الزبيريين.

وفي طليعتهم ابن أختها عروة بن الزبير الذي قال عنه ابن شهاب أنه بحر لا يترف. ومما روى عنها قصة أصحاب الإفك، وتفاصيل معاناتها في هذه المحنة. كما روى عنها كذلك قصة بدء الوحي مما يدل على عنايتها بتاريخ حياة الرسول ﷺ حتى في الفترة التي سبقت دخولها في بيوت النبي، فقد كانت تتتبع علاقة النبي ﷺ بأبيها واعتياده لزيارة دارهم، والاستماع والوعي لما يدور حولها أوان البعثة والدعوة، وما يلاقيه عليه الصلاة والسلام من مشركي قريش في هذه الفترة.

3. أنس بن مالك

أنس بن مالك بن النضر النجاري الخزرجي الأنصاري البصري، ولعله آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له"، قال أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً وولداً، وبورك له في عمره حتى أثبت الخطيب البغدادي في تاريخه أن ابن إسحاق وهو السيري المشهور (ت 151هـــ) قد رآه.

ومن مروياته الكثيرة في كتب السيرة، حديثه عن فترة الوحي والإسراء، وما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وما لقيه عمه أنس بن النضر، وآداب الجهاد في الإسلام، واليوم الذي قبض الله فيه نبيه صلى الله عليه وسلم. وأخبار زواج النبي صلى الله عليه وسلم من صفية ابنة حيي.

وفوق هذا كله فهو خادم رسول الله صلى الله عليه طيلة المرحلة الثالثة من سيرته، مرحلة المغازي والتشريع وصف ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من خلق عظيم في تعامله مع أهل بيته والمسلمين والناس كافة.

فوصف كل ما كان يراه رضي الله عنه من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأطال الله له في العمر حتى ألحق صغار التابعين بكبارهم.

4. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

ولد ابن عباس في مكة أيام حصار بني هاشم في الشِّعب، وقد حنكه رسول الله ﷺ ودعا له بالحكمة وعلم التأويل، واستجاب الله تعلى لدعوة رسوله الكريم، فكان ابن عباس حبر الأمة، وبحرها الذي اشتهر بسعة علمه، وحدة فهمه، وقوة حافظته.

لازم النبي ﷺ إلى أن بلغ السادسة عشر من عمره، وروى عدة أحاديث مشهورة في الأحكام، ثم صار من مستشاري الخلفاء مع صغر سنه، ثم رافق الإمام عليا وعيّنه من مساعديه وولاته، والناطق باسمه في مجادلة خصومه.

وفي سعة علمه يقول عنه تلميذه عبيد الله بن عتبة بن مسعود أنه فات بخصال كثيرة، بعلم من سبقه، وبحلم ونسب، وتأويل فلا أحد أعلم منه بحديث رسول الله ﷺ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان، ولا أفقه في رأي منه، كما يجلس يوما ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر وأيام العرب. وقد روى عنه قرناؤه من الصحابة أمثال ابن عمر وأنس بن مالك وسهل بن حنيف.

فلا غرابة أن يكون من مصادر السيرة، لمواكبته لأهم مراحلها، فقد كان مع والده قبل الهجرة، عارفا بما يجمع العباس بابن أخيه من قرابة ورحمى ومودة. ولا ننسى أن العباس كان مع النبي ﷺ في جلسات مبايعي العقبات، وأنه بقي في مكة عينا على الكفار، مما جعل النبي ﷺ يوصي به في بدر ولو أنه عامله بالعدل في قضية الأسر، ثم أسهم العباس في تسهيل المفاوضات في فتح مكة، لما يتمتع به من سمعة عند قريش وثقة عند النبي ﷺ، ولعل أصدق عبارة عن علاقته بالنبي ﷺ هي ما قاله عنه في هذه الأبيات:

مـــن قبلـــها طبـــت في الظـــلال ... وفي مستودع حيث يخصف الـــورق
ثم هبطـــــت الـــــبلاد لا بـــــشر ... أنـــــت ولا مـــــضغة ولا علـــــق
بـــل نطفـــة تركـــب الـــسفين ... وقد ألجـــم نـــسرا وأهلـــه الغـــرق
تنقـــل مـــن صـــالب إلى رحـــم ... إذا مـــضى عـــالم بـــدا طبـــق
حـــتى احتـــوى بيتـــك المهـــيمن ... من خندف عليـــاء تحتـــها النطـــق
وأنـــت لمـــا ولـــدت أشـــرقت ... الأرض وضـــاءت بنـــورك الأفـــق
فـــنحن في ذلـــك الـــضياء وفي ... النـــور وســـبل الرشـــاد نخترـــق

ومن مرويات ابن عباس في شأن الوفود على النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكره أبو حمزة الضبعي، وكان أبو حمزة الضبعي يجلس مع ابن عباس ويأمره أن يقيم معه حتى يعطيه سهما من ماله، وحدث عنه حماد بن زيد، وعباد بن عباد، وقرة بن خالد، وكانت له جرة ينبذ بها، فاستفتى ابن عباس فأخبره قال: إن وفد عبد قيس أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من الوفد؟ أو من القوم؟ فقالوا ربيعة فقال مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى، فقالوا إنا نأتيك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمُرنا بأمر نُخبر به من وراءنا ندخل به الجنة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع. أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده، قال هل تدرون ما الإيمان بالله وحده، قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قالوا شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وإيقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم، ونهاهم عن الدباء والحنتم، والمزفت، قال شعبة: ربما قال النقير، وربما قال المقتر، قال احفظوه وأخبروا من وراءكم.

5. أبو موسى الأشعري:

عبد الله بن قيس بن سليم، قيل إن نسبه ينمى لبني سبأ، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أوتى أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود، وسئل علي رضي الله عنه عن موضع أبي موسى من العلم، فقال: صبغ في العلم صبغة.

وأول ما يصادفنا من مروياته في السيرة هو اختلاف السيريين في هجرته إلى أرض الحبشة، وقصة فرح النبي صلى الله عليه وسلم بقدومه عليه مع جعفر بن أبي طالب في سفينتين من أرض الحبشة.

وقصة كونه عاملا للنبي صلى الله عليه وسلم على مناطق في اليمن.

وقصة استبسال ابن عمه أبي عامر الأشعري واشتهاده ، وأخذه الراية منه، رضي الله عنهما في السرية التي بعث رسول الله صلى الله إلى أوطاس.

وهو الذي أرسله أصحابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملهم فمنعهم فلما ولى ناداه فقال: " خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد فقال:"انطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله أو إن رسول الله يحملكم على هؤلاء ".

6. البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأوسي الأنصاري

وأشهر مروياته عن طريق أبي إسحاق السبيعي وسننوه بجهوده لاحقا، ومن هذه المرويات:

ما روى عنه ابنه أنه ممن استصغر يوم بدر، وأن عدد أهل بدر على عدد أصحاب طالوت الذين انتصروا على جالوت وجنوده وأنهم ثلاثمائة ونيف. وروى قصة الرماة يوم أحد، ومقتل أبي رافع، وقصة عبد الله بن عتيك.

كما روى أن النبي ﷺ كان ينقل التراب في حفر الخندق ويقول:

لـــــولا الله مـــــا اهتـــــدينا ولا تـــــــصدقنا ولا صـــــــلينا
فـــــانزلن ســـــكينة علينـــــا وثبـــــت الأقـــــدام إن لاقينـــــا
إن الأولى بغـــــوا علينـــــا إذا أرادوا فتنـــــــة أبينـــــــا

وروى كذلك ما قيل في الحديبية التي يعدها الصحابة فتحا، وقد وقعت فيها معجزات باهرة، مثل بيعة الرضوان وتفجير الماء من عينه الناضبة. وروى عنه في عمرة القضية التراع الذي جرى فيمن يحتضن ابنة حمزة، وأنه ﷺ دفعها إلى خالتها التي عند جعفر بن أبي طالب.

وروى عنه تولي الناس في غزوة حنين، وثبات النبي ﷺ على بغلته، وترديده قوله:

أنا النبي لا كـــذب   أنا ابن عبد المطلب

كما روى عنه حرص الصحابة على معرفة سيرة رسول صلى الله عليه وسلم، ومما روى أبو إسحاق عن البراء بن عازب قال : اشترى أبو بكر من عازب سرجا بثلاثة عشر درهما . قال : فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمله إلى مترلي . فقال : لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حيث خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنت معه" فحدثه بيوميات الهجرة تفصيلا.

2. التابعين:

بعد هذه النماذج من أعمال الصحابة نستعرض جهود مجموعة من التابعين كان لها دور خاص في تدوين السنة، ومنها:

1. أبان بن عثمان بن عفان (20ـــ105)

عاش أبان ردحا من الزمن في كنف والده، وأثناء المشاجرة خرج مع عائشة وطلحة، وهو دون العشرين، وبقي عدة عقود في المدينة حتى صار معدودا من علمائها الأعلام. يقول عنه عمرو بن شعيب: ما رأيت أحدا أعلم من أبان، وكان ممن أخذ عنه أبو بكر بن حزم الأنصاري، وكان من أول من اشتهر بمعرفة المغازي والسير، ويذكر أن له صحيفة خاصة. وفي سنة 75 عينه عبد الملك بن مروان واليا على المدينة وبقي عليها إلى سنة 83.

ومع مكانته في العلم فإنه كان صاحب أدب وفكاهة.

وكان يطلع بإدارة الحج في فترة ولايته على المدينة نيابة عن عبد الملك، وعين بعد الإمارة قاضيا، وعرف بصرامته مع الذين يزيفون العملات، وذُكر أنه زاد في صاع المدينة.

كان أبان محدثا ضابطا، روى عن أبيه، وروى عنه الزهري، وأبو الزناد، والمغيرة بن عبد الرحمن الذي أخذ عنه المغازي، وربما التبس على الناس مع أبان بن عثمان البجلي الذي يروي عنه ابن سعد في قصة أسر العباس، وذلك لأن البجلي ألف كذلك في السيرة كتابا تناول فيه المبدأ والمبعث والمغازي.

2. عروة بن الزبير (26–93)

ومن قرناء أبان بن عثمان المحدث والفقيه والإخباري عروة بن الزبير بن العوام. ولد عروة في المدينة وقضى فيها معظم حياته، ما عدى سبع سنين قضاها في مصر، وسنوات في مكة مع أخيه عبد الله حين كان محاصرا بها من طرف الحجاج.

أخذ عروة بن الزبير مجمل علمه من خالته أم المؤمنين عائشة، وقد استوعب معظم معارفها الجمة. كما روى عن الإمام علي بن أبي طالب، وعن ابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة، وغيرهم.

وأخذ عنه بنوه هشام ويحيى وعثمان ومحمد، وابن شهاب الزهري، ويتيمه أبو الأسود أبو عبد الله محمد بن عبد الله. كما روى عنه حفيده عمر بن عبد الله بن عروة، وابن أخيه محمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن الضحاك، وقد أخذ عن محمد هذا الإخباري المعروف الزبير بن بكار.

يعد عروة من علية فقهاء المدينة السبعة المشهورين، واشتهر بغزارة علمه، وكان ابنه هشام وابن شهاب الزهري من المكثرين من الرواية عنه.

وقد عرف أيضا عروة بالزهد، وبالصبر، فقد قطعت رجله بغير مخدر دون أن يظهر أي علامة للتألم أو التأثر. كما عرف بشجاعته في مناصرة أخيه أوان الحرب بينه وبين عبد الملك بن مروان، فلم يرض أن ينال أحد من أخيه بحضرته، ولو كان ذلك أمام عبد الملك.

ويمكن أن يطلق على علاقته بعبد الملك أنه كان عدوه الحميم، فقد كانا يشتركان في المجالس العلمية قبل أن يتقلد عبد الملك الحكم، واستمر الاتصال بينهما وتبادل الاحترام، حتى في الظروف الصعبة التي قتل فيها أخوه في مكة. وقد وفد أثناء ذلك على دمشق وطلب من عبد الملك إنزال عبد الله من الخشبة التي صلب عليها، فاستجاب له، وسلم لوالدته أسماء لغسله ودفنه.

وفيما يخص دوره في إنماء علوم السيرة فإنه يتمثل أساسا في أجوبته لعبد الملك بن مروان، الذي وجه إليه عدة رسائل سأله فيها عن مواضيع مهمة في المغازي وكان منها تفاصيل عودة أبي سفيان بن حرب من الشام بعير قريش، وكيف مال إلى طريق الساحل لينجو من جيش المسلمين المنطلق من المدينة، وذكر فيها ورود النبي صلى الله عليه وسلم إلى بئر بدر وقصة الشخص الذي جاء إلى بدر قادما من جيش الكفار وكان بعض الصحابة يظنون أنه يكتم عنهم أخبار أبي سفيان لأنهم كما جاء في القرءان الكريم كانوا لا يرغبون في لقاء ذات الشوكة، ولكن الله يريد أن يحق الحق بكلماته. وذكر أن النبي قال لأصحابه أتعذبونه إذا صدق وترسلونه إذا كذب. ثم سأله من يضم الجيش من القوم، وكم من جزور لهم في اليوم، واستنتج صلى الله عليه وسلم من جوابه أنهم زهاء الألف.

ويذكر عروة لعبد الملك أن الله نصر رسوله، وهزم المشركين.

وذكر له أجوبة أخرى تتناول الهجرة إلى الحبشة، وهجرة الصحابة إلى المدينة، وعن غارة خالد بن الوليد يوم الفتح، وعن تاريخ خديجة.

وإذا لم يؤثر عن عروة كتاب مستقل في السير، فإن ابن اسحق والواقدي والطبري أوردوا له مقتطفات عدة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعتقد أن جلها عن عائشة.

3. شرحيل بن سعد(ــ 123)

وهو من موالي المدينة، ويذكر أنه قد رأى الإمام عليا بن أبي طالب، وقد توفي سنة 123 بعدما عاش أكثر من مائة سنة. وقيل إنه أول من دوّن أسماء المهاجرين إلى الحبشة والصحابة من أهل بدر، ويقول سفيان بن عيينة عنه أن لا أحد أعلم منه بالمغازي والبدريين. ولم تكثر الرواية عنه، وسبب التحفظ عليه أنه اختل في آخر عمره، وأنه كان يستحوج الناس فخافوا أن يقول لمن لم يسعفه أن أقاربه لم يكونوا من أهل بدر. وكان ابن اسحق ممن لا يثق فيه ولا يروي له خلافا لموسى بن عقبة الذي أفاد من سجلاته، كما أن ابن حبان يعده من الثقات، وقد روى عنه ابن سعد خبر انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من قباء إلى المدينة، وذلك عن مجمع بن يعقوب، فقال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانتقال من قباء اعترضت له بنو سالم، وأخذوا بزمام ناقته وقالوا يا رسول الله هلم إلى العدد والعدة وإلى السلام والمنعة، فقال صلى الله عليه وسلم خلوا سبيلها إنها مأمورة، ثم اعترضت له بنو الحرث، ثم بنو عدي، وكلاهم قال مثل قولة بني سالم، ويرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفس الجواب.

ولم يتردد اسم شرحبيل كثيرا في مصنفات أهل السير لأن ابن اسحق والواقدي لم يرويا عنه شيئا.

4. عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري(ــ 130)

ينتمي عبد الله إلى أسرة أنصارية عريقة في المدينة، فكان جده محمد بن عمرو من علية الصحابة، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم واليا إلى نجران، وزوّده برسالة أوردها الإمام مالك في موطإه، وهو ممن أصيب في وقعة الحرة سنة 63. أما والده فقد تولى إمارة المدينة في عهد سليمان، وكان مع ذلك قاضيا، وهو الذي كتب إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز أن ينظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية، أو أحاديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتبه، لأنه خاف من دروس العلم. ولقد كان سهلا على أبي بكر بن حزم القيام بهذه المهمة لمكانته في المدينة ولقرابته من المحدثة عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة التي عرفت من رواة عائشة أم المؤمنين.

واشتهر اثنان من أبناء أبي بكر بن حزم وهما القاضي محمد والإخباري المحدث عبد الله. وقد روى أنه كان يأخذ على أخيه القاضي في الحكم بما يخالف الحديث فيجيبه محمد القاضي قائلا أين الناس منه، وفي هذه المحاورة بدأ الخلاف في القول بعمل أهل المدينة.

وقد كان عبد الله محبا للحديث، واستمع إلى وصية والده، أن لا يأخذ بصدور الأحاديث دون أعجازها، وهو بذلك يؤكد له على التثبت في النصوص وتجنب الاعتماد على نص لم يكتمل.

وقد عني عبد الله بالمغازي في مدلولها العام، ويقال أنه أخذها عن إبان بن عفان، ورتبها حسب السنوات ومن المحتمل أن يكون ابن أخيه عبد الملك بن عبد الرحمن قد أفاد من كتاب عمه في المغازي، ومع ذلك فإنه لم يؤثر عنه كتاب مستقل وإنما وردت عنه مقتطفات عند ابن اسحق والواقدي.

5. وهب بن منبه (34 – 110)

إنه وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كبار، وهو الأسوار. جده ذو كبار من الأساورة. صنعاني يماني، يقال إن أصله من هراة من خراسان. اشتهر بغزارة العلم ومواصلة التقييد، أخذ عن ابن عباس، وأبي سعيد النعمان بن بشير وجابر وابن عمر، واختلف في أخذه عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاصي.

وأخذ عنه ولداه عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار المكي، وهمام بن نافع والد عبد الرزاق.

وروى عن يحيى بن زبان عن عبد الله بن زائد عن مولى لسعيد بن عبد الملك، عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيكون في أمتي رجلان أحدهما يقال له وهب يؤتيه الله الحكم والآخر يقال له غيلان أشد على أمتي من إبليس، وبعض رواة هذا الخبر مجهولون.

وفي خبر آخر، يقول الذهبي أن سنده مظلم، وقد رواه الوليد بن مسلم عن أبيه عن وهب قال: يقولون عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه وأن كعبا أعلم أهل زمانه، أرأيت من جمع علمهما.

يقال إنه قرأ ثلاثين كتابا نزلت على ثلاثين نبيا.

كان متهما بالقدر، وعزى له أنه رجع عنه لما قرأ سبعين كتابا من كتب الأنبياء. وقال في الأخير إن من وكل لنفسه شيئا من المشيئة فقد كفر.

ولقد امتحن وضرب حتى مات، وذلك على يد يوسف بن عمر في اليمن.

وله في الصحيحين حديث واحد، عن سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن منبه عن أخيه عن أبي هريرة، وهو قوله: لا أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ مني سوى عبد الله بن عمرو بن العاصي فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب.

وكان مصدر كثير من الروايات في تاريخ ما قبل البعثة.

6. عاصم بن قتادة بن النعمان(ـــ 119)

اشتهر جده قتادة الذي كان من نقباء الأوس في بيعة العقبة، وشهد بدرا وأحدا وفيها أصيبت عينه فشكى ذلك إلى النبي ﷺ فردها أحسن مما كانت وقد أشرت إلى ذلك في نظم البدريين:

والظفـــري قتـــادة فيهـــا اعـــدد وعينـــــه ردت بيـــــوم أحـــــد

ويقول البدوي المجلسي في مغازيه:

قتـــادة ذو العـــين ردهـــا الـــنبي بقوســـه وقـــد تـــشظظت حـــبي

وقد أبدع البوصيري في ذكر راحة النبي حينﷺ قال:

وأعـــادت علـــى قتـــادة عينـــا فهـــي حـــتى مماتـــه نجـــلاء

ولقد استطردنا قصة قتادة لنبين أن من الطبيعي أن يهتم حفيده عاصم بأخبار المغازي التي كان لجده أطيب الذكر فيها. ولقد كان اهتمام عاصم بالمغازي هو ما حمل الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يأمره بالإقامة مدة في دمشق ليدرس أهل الشام أخبار مغازي رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز عاد عاصم إلى المدينة، وبقي فيها مزاولا لنشاطه العلمي في شرح مادته المفضلة في السيرة النبوية إلى أن توفي سنة 119.

و لم يقتصر دوره على الغزوات، بل إنه اهتم كذلك بأخبار بيعة العقبة، فذكر قولة العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري لقومه: يا معشر الخزرج هل تدرون على مَ تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تبايعونه على قتال حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فدعوه فهو والله خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعاكم إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة، فقالوا: إنهم يأخذونه على ذلك، وسألوا: ما لهم، فقال النبي ﷺ إن لهم الجنة، فبايعوا.

واختلف عاصم وأبو بكر في تفسير قول العباس، فقال عاصم ابن عباس لم يقلل ذلك إلا ليشد عقد البيعة، وقال عبد الله بن أبي بكر أنه أراد تأخيرها ليحضر عبد الله بن أبي.

ومما روى عنه كذلك استغرابه لموقف يهود المدينة الذين يبشرون ببعثة النبي ﷺ ولما جاء كفروا به، بخلاف بني قيلة الذين كانوا وثنيين، ولما هاجر الرسول ﷺ آمنوا به وآووه ونصروه، وذلك مصداقا لقوله تعلى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

ومما عزى له في قصة بدر سؤال عوف بن عفراء الأنصاري للنبي ﷺ عما يضحك الرب سبحانه من عبده، فقال: غمسه يده في العدو حاسرا، فترع درعه، وأخذ سيفه وقاتل حتى استشهد.

7. أبو إسحق السبيعي(ـــ 127)

وهو من علماء التابعين الذين كانوا بالكوفة، وقد روى مجموعة من الأخبار في علوم السيرة، فهو الذي ذكر عن زيد بن الأرقم عدد حجات الرسول وغزواته ورواياته عن البراء بن عازب كثيرة، لكنه روى أيضا عن عمرو بن ميمون قصة سعد بن معاذ وقدومه إلى مكة بعد الهجرة ونزوله عند أمية بن خلف، وقد أخبره أن النبي ﷺ قال إنه سوف يقتله، وهذا ما جعله يتردد في المسير إلى بدر إلا أن أبا جهل عيره وفرض عليه الخروج

والذهاب إلى مصيره المحتوم، وعن عمرو بن ميمون روى كذلك دعاء النبي ﷺ كفار قريش وخصوصا على أبي جهل وعتبة وشيبة.

وروى عن سليمان بن صرد أنه ﷺ قال بعد غزوة الأحزاب لن تغزوكم قريش بعد هذا والغزو لكم.

وروى عن حميد عن أنس سؤال أم حارثة بن النضر عن مصير ابنها بعدما استشهد في بدر، فقال لها النبي ﷺ إنه في جنات فصبرت واحتسبت.

وروى عنه قوله ﷺ في الخندق:

اللهم إن العيش عـــيش الآخــــره   فارحم الأنـــصار والمهـــاجره

وروى عن صلة بن زفر عن حذيفة أن النبي ﷺ بعث أمين الأمة أبا عبيدة بن الجراح مع وفد نجران. وعن الأسود بن يزيد عن أبي موسى الأشعري قدومهم إلى المدينة وإنهم كانوا يظنون أن ابن مسعود من أهل بيت النبي لكثرة دخوله عليه وخروجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

8. محمد بن شهاب الزهري(50ــ 123)

لقد احتل محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري مكانة خاصة في تدوين السنة والسيرة، واشتهر تفوقه في جمع الحديث، ومعرفة أنساب العرب، وعرفت له ذاكرة قوية، فكان يملي مئات الأحاديث على تلامذته من حفظه لأنه كان لا يعتمد على الكتابة. وقد رُوي أن هشام بن عبد الملك اختبر حافظته لأنه أملى على أبنائه أربعمائة حديث وبعد مدة قال له هشام أن الأحاديث ضاعت على أبنائه، فأعادها الزهري كما أملاها أولا.

وقد روى عنه الإمام مالك أكثر من مائة ألف حديث، ولو أنه لم يثبت في موطأه إلا نحوا من مائة وخمسين حديثا.

ويذكر أنه أول من كان له ديوان في السيرة النبوية، وذلك بأمر من خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من طرف الأمويين. ويذكر ابن سعد محاورة جرت بينه وبين الأمير خالد الذي قال له الزهري إنني أجد أشياء في السيرة تتعلق بعلي بن أبي طالب، فهل أذكرها؟ فأجابه بالنفي مع عبارات تدل على ما في نفس خالد من عداوة الإمام علي كرم الله وجهه.

غير أننا نرى خبرا آخر في حوار بين الزهري وهشام بن عبد الملك الذي سأله الزهري قائلا له هل كان علي بن أبي طالب هو الذي تولى كبر قصة الإفك، فأجابه بأن المعني هو عبد الله بن أبي، فكذبه هشام، فغضب الزهري وقال له: أنا أكذب لا أبالك، فوالله، لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت، فقد حدثني سعيد بن المسيب وعروة، وعبيد الله وعلقمة بن وقاص عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي. وفي الرواية عند البخاري ما يلمح إلى أن القصة كانت مع الوليد بن عبد الملك.

لقد أخذ على الزهري اتصاله الوثيق بملوك بني أمية، ولعل ظروف استعانته هي التي حملته على هذه الصلة، فقد كان والده عبد الله بن شهاب من أنصار ابن الزبير، وكان هو نفسه من تلامذة سعيد بن المسيب المخلصين إذ قال إنه لازمه عشر سنين، وكأنها واحدة، ومن المعروف ما بين ابن المسيب وعبد الملك بن مروان. أما علاقة الزهري بالأمويين فقد بدأت بوفادته على عبد الملك وتوطدت مع هشام وساءت مع الوليد، ولكنه بقي محافظا على سمت العلماء هو وأبو الزناد اللذان لم يضعا علمهما في خدمة الدولة الأموية دون أن يقاطعاها.

ولقد كثرت مرويات ابن شهاب الزهري في الحديث والسيرة. وقيل إنه كان يكتب كل ما سمع ويمحوه إذا حفظه، وهو من الثقات المكثرين، وقد روى عنه المحدثون وأصحاب السير، ومما رواه عن حياة الرسول ﷺ تفاصيل زواجه من خديجة بنت خويلد وأسبابه وظروفه.

كما روى كذلك أخبار بدإ الوحي، وكيف كان النبي ﷺ يتلقاه، والحالات التي يمر بها عند نزوله، ولجوئه إلى أهل بيته، حينما تأخذه البرحاء.

وله بعد الهجرة روايات تتعلق بأصحاب بئر معونة، وموقف النبي ﷺ مما حل بهم، وروى أيضا قصة الإفك وملابساتها، نقلا عن عائشة، وقد رأينا إنكاره أمام هشام بن عبد الملك أن يكون علي بن أبي طالب ممن تولى كبرها.

كما روى أيضا قصة إجلاء بني النضير، بعد غدرهم لعهود النبي ﷺ.

وفي غزوة الفتح روى قصة خالد بن الوليد مع بني جذيمة، وقوله ﷺ أنه يبرأ إلى الله مما وقع. ومن مروياته كذلك خطاب النبي ﷺ للأنصار بعد قسم الغنائم في غزوة حنين.

هذه نماذج قليلة مما وعى هذا المحدث الكبير، والإخباري الثبت، الذي أفاد منه تلاميذه الكثر، وكان من بينهم الإمام مالك بن أنس الذي ملء الصناديق من علمه، كما أخذ عنه في علوم السيرة موسى بن عقبة ومعمر بن راشد وابن اسحق.

9. موسى بن عقبة(ــ 141)

ومن مشاهير تلامذة ابن شهاب الزهري موسى بن عقبة، مولى أم خالد بنت سعيد بن العاص، وهي حبشية المولد. هاجرت إلى المدينة وهي صغيرة، إلا أنها حملت إلى النبي صلى ﷺ سلام النجاشي عليه، وقد كساها عليه الصلاة والسلام خميصة، ثم دعا لها قائلا: أبلي وأخلفي سنه سنه، ومعناها حسن حسن بلغة الحبشة. وقد تزوجها الزبير بن العوام، وولدت له خالدا أو عمرا الذي قاتل أخاه عبد الله حتى قتل انتصارا لعبد الملك بن مروان.

وكانت أم خالد هذه من حافظات النساء، وقد حدّث عنها مولاها موسى بن عقبة، وهو من أوثق من كتب في المغازي، وكانت له هو وأخوه إبراهيم حلقة في المسجد النبوي في الحديث عن المغازي والسير، وهو من أول من ترك مصنفا في المغازي وتوجد مقتطفات من كتابه في مكتبات الدول الأوربية.

وقد وضع قوائم المهاجرين إلى الحبشة، والمشاهدين لغزوة بدر.

وكان موسى يروي عن جده لأمه أبي حبيبة، وقد ذكر الطبري في تاريخه ما جرى بين سعد بن أبي وقاص وعلي بن أبي طالب في مقتل عثمان، وقول علي: ما زلت أذب عنه حتى أني لأستحيي، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم الذين صنعوا به ما ترى، فإذا نصحته وأمرته أن ينحيهم استغَشّني حتى جاء ما ترى.

ويذكر له البلاذي في الفتوح كتاب النبي ﷺ إلى منذر بن ساوي، ونصه: " من محمد بن عبد الله إلى منذر بن ساوي سلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن رأيت كتابي وسمعت ما فيه، فمن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، ومن أبى فعليه الجزية".

وقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك زيادة ورد فيها: "فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته".

10. معمر بن راشد(96 ــ 154)

كان أبو إسحاق السبيعي يمثل دور أهل الكوفة في نشأة تدوين السنة، وها نحن نرى معمر بن راشد يمثل دور أهل البصرة التي ولد فيها سنة 96. وأخذ فيها عن قتادة بن دعامة، وهو من أجلّ محدثيها لكنه غادرها حيث ارتحل إلى اليمن وأقام في صنعاء وصار يتردد بينها وبين مكة.

وفي هذه الفترة استكمل روايته للحديث بملازمة ابن شهاب الزهري الذي أخذ عنه الكثير، وزاد في شهرته نباهة تلميذه عبد الرزاق بن همام، فصار سند عبد الرزاق عن معمر عن الزهري يتردد في كتب أهل الحديث.

ومعمر معدود من ثقات المحدثين حتى قال عنه ابن جريج المكي: "عليكم بهذا الرجل فإنه لم يبق أحد من أهل زمانه أعلم منه".

ولا شك أن مقامه في اليمن أيضا أفاده في الاطلاع على كثير من أخبار أهل الكتاب نظرا للتراث اليهودي والمسيحي الذي تركه أتباع هذه الديانات في اليمن قبل الإسلام.

وكان من مروياته إلى جانب المغازي، قصة إبراهيم عليه السلام، وما حل بالجبار نمرود الذي يذكر أنه أمضى أربعمائة سنة، وهو يضرب رأسه بالمضارب تألما من بعوضة دخلت في منخره وعذبته أربعة قرون.

ومما روى عن الزهري أنه لما فتر الوحي على النبي ﷺ حزن حزنا شديدا وجعل يعدو إلى رؤوس الجبال، وكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول له إنك نبي الله فيسكن لذلك جأشه وترجع إليه نفسه.

وعن ذلك يقول ﷺ: "فبينما أنا أمشي يوما إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسي بين السماء والأرض، فجئت منه رعبا فرجعت إلى خديجة فقلت زملوني، فزملوني ودثروني، فأنزل الله تعلى ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر**﴾. الحديث أورده الإمام البخاري ذاكرا أن الزهري رواه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله الذي سمعه من النبي ﷺ، وفي لفظه: فجئت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي، فقلت: زملوني، زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعلى ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر**﴾ إلى قوله تعلى ﴿**والرجز فاهجر**﴾ وقال أبو سلمة الرجز الأوثان.

ومن مرويات معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، قال النبي ﷺ : هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: قوموا، قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم هذا الكتاب لاختلافهم ولغطهم.

خاتمة

كان لزاما علينا في ختام هذه الورقة أن ننبه إلى أن موضوع جهود الأمة في خدمة السيرة قبل تدوين ابن اسحق يتطلب القيام ببحوث شاملة، لا تقتصر على ما ورد في كتب السيرة في مفهومها الخاص، ولكنه يشمل المصادر العامة لحياة النبي ﷺ، مثل ما ورد عنه في القرآن الكريم، وما هو منتشر في كتب الحديث، لما تضمنت من معارف من صميم علوم السيرة، يكفي للدلالة على ذلك أن نذكر أن عنوان صحيح البخاري هو: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، وأنه أدرج في هذا الكتاب قصة بدإ الوحي، وأحوال العرب قبل الإسلام، ومناقب الصحابة، وخصص جزءا كبيرا منه للمغازي.

ومن هذه المصادر الحديثية كتب الشمائل ومن نماذجها المعروفة شمائل الترمذي، وكذلك مصنفات دلائل النبوءة مثل ما فعل البيهقي.

وهذه المؤلفات تؤكد ما بين كتب الحديث من تداخل وتطابق.

وهذا ما يحملنا على التوصية بإعادة تقديم علوم السيرة في حلة جديدة، تتقيد بمناهج أهل الحديث في الإسناد والتوثيق، وتعطي في إخراجها صورة تمكنها من القيام بمهمتها الأساسية وهي علاوة على الجانب التشريعي والخلقي الداعي إلى الامتثال والتأسي، تقوية روح الإيمان في قلب المسلم، وتذوق مصادر الجمال في خَلق النبي ﷺ وفي خُلقه، للاستضاءة بنور محبته التي لا يؤمن أحد حتى تستحكم في نفسه فتنير له طريق السعادة.

المراجع:

1. القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
2. موطأ الإمام مالك مالك دار الشرق مكة المكرمة 1985
3. صحيح البخاري دار ابن كثير ـــ اليمامة ـــ بيروت 1987م
4. شرح صحيح مسلم النووي دار إحياء التراث العربي بيروت 1972
5. زاد المعاد ابن قيم الجوزية / الرسالة بيروت 1994
6. السيرة النبوية ابن إسحاق أخبار اليوم القاهرة 1998
7. السيرة النبوية ابن هشام الأنصاري دار ابن حزم بيروت 2001
8. عيون الأثر في السير ابن سيد الناس دار القلم بيروت 1993
9. روض الأنف السهيلي مكتبة ابن تيمية القاهرة 1990
10. فتوح البلدان البلاذري دار النشر للجامعتين 1957.
11. الطبقات الكبرى ابن سعد دار صادر بيروت 1957
12. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر دار الأعلام عمان 2002.
13. أسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير دار إحياء التراث العربي بيروت
14. الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني الخانكي وشركاؤه القاهرة 1907 .
15. سير الأعلام النبلاء الذهبي ـــ طبعة بيت الأفكار ، تحقيق حسان عبد المنان
16. في موكب السيرة النبوية محمد المختار ولد أباه الهلال العربية للطباعة والنشر الرباط 1995.
17. تاريخ علوم الحديث الشريف في الشرق والغرب محمد المختار ولد أباه الايسيسكو الرباط 2009 .
18. مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، د. فاروق حماده ـــ دار الثقافة ـــ الدار البيضاء
19. تاريخ تدوين السيرة ، جوزيو هور فتشر ترجمة حسين بطار ومصطفى السقا ، دار ومكتبة بيبليون ـــ ط1.
20. السنة قبل التدوين ، د. محمد الحاج الخطيب ، مكتبة وهبة 1988.